

ظاهرة الإنزياح التركيبي في شعر محمود درويش
التقديم والتأخير والحذف أنموذجا

ط/ دكتوراه: عائشة بن السايح
مخبر التراث اللغوي والأدبي بالجنوب الشرقي الجزائري
جامعة قاصدي مرباح (ورقلة)

تاريخ النشر: 2019/12/01	تاريخ القبول: 2019/11/24	تاريخ الإرسال: 2019/06/22
-------------------------	--------------------------	---------------------------

Abstract :

Specialized researchers have always been busy studying the literary text in order to reveal the stylistic phenomena that characterize it, and give it an aesthetic character that affects the recipient. The follower of stylistic phenomena realizes that " displacement " The most important of these phenomena, and the most discriminating of the literary effect, hence the aim of the study to publicize displacement, and to highlight its aesthetic value, by monitoring its manifestations represented in the synthetic displacement whether it is a presentation or delay or deletion in poetry poet resistance Palestinian feat "Mahmoud Darwish ", who invested these technicians in shaping his poetic language that earned him a distinctive status, and transferred the Palestinian issue to affect everyone.

Keywords: displacement _ construction _ poetry _ Mahmoud Darwish.

ملخص البحث

لطالما انشغل الباحثون المتخصصون بدراسة النص الأدبي قصد الكشف عن الظواهر الأسلوبية التي تميزه، ونضفي عليه طابعا جماليا يؤثر في المتلقي. والمتتبع للظواهر الأسلوبية يدرك أن "الإنزياح" أهم هذه الظواهر، وأكثرها تميزا للأثر الأدبي، ومن هنا هدفت الدراسة إلى التعريف بالإنزياح، وإبراز قيمته الجمالية، من خلال رصد تجلياته الممثلة في الإنزياح التركيبي سواء كان تقديمًا أو تأخيرًا أو حذفًا في شعر شاعر المقاومة الفلسطينية الفدّ "

محمود درويش"، الذي استثمر هذه الفنيات في تشكيل لغته الشعرية التي أكسبته مكانة مميزة، ونقلت القضية الفلسطينية لتؤثر في الجميع.

الكلمات المفتاحية: إنزياح _ تركيب _ شعر _ محمود درويش.

يعدّ الانزياح من أبرز الظواهر الأسلوبية في النص الأدبي، ويعرف بعدة تسميات منها: العدول، الانحراف، التجاوز، المخالفة، خرق السنن، الانتهاك، التحريف، والعصيان¹...

أولاً: مفهوم الإنزياح: قبل الخوض في دراسة الانزياح التركيبي في شعر محمود درويش يجدر بنا أن نبين المعنى اللغوي لهذا المصطلح، فهو مأخوذ من " زاح الشيء يزيح زيحاً وزيحاً وزيحاناً، وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته، وأزاحه غيره، أزاحه عن موضعه، ونحّاه..."²

أما اصطلاحاً: فقد عرفه نعيم اليافي بأنه " خروج التعبير عن السائد، أو المتعارف عليه قياساً في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيباً"³

كما عرفه برونو بأنه خطأ كونه خروجاً عن القاعدة ، ولكنه خطأ مقصود، وانزياح متعمّد من قبل المبدع بغية تحقيق قيم دلالية وجمالية.⁴

ومن بين التعريفات المتكررة تعريف فاليري الذي يقول: " إن الأسلوب في جوهره انحراف عن قاعدة ما " ⁵

وتتفق التعاريف السابقة على أن الانزياح هو خروج أو انحراف عن القاعدة المتعارف عليها، والمستعملة، وتبدو العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي جليّة، فالانزياح هو تحية وإزاحة التعبير عن قانونه المتعارف عليه.

وقد اعتمد رواد الدرس الأسلوبي في تحديدهم لمفهوم الأسلوب على مدلول الإنزياح، واتضح ذلك من خلال تعريف ميكال ريفاتير للأسلوب بكونه انزياحاً عن النمط التعبيري المتواضع عليه⁶، والانزياح يكون تجاوزاً للمألوف، وخرقاً للقواعد، وخروجاً عن الصورة المثلى للغة إلى مأنذر من الصيغ، ويرى جان كوهين أن هذا الإنزياح "هو ملمح من ملامح الشعريّة، وشرط ضروري لوجود الشعر، ولا يخلو شعر منه، ولكنه ليس انزياحاً فوضوياً"⁷، بل ابداعاً جمالياً.

ثانياً: الإنزياح التركيبي:

تحدث الكثير من الباحثين عن أنواع الإنزياح؛ فهو لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص، بل يشمل أجزاء متنوعة ومتعددة، وتنطوي كل أشكال الإنزياح تحت نوعين رئيسيين: الأول هو ما يتعلّق بجوهر المادة اللغوية،

ممّا سماه جان كوهين الانزياح الاستبدالي، والنوع الآخر يتعلق بالسياق أو تركيب العبارات، وهذا مايسمى بالانزياح التركيبي.⁸

وقد عرف صلاح فضل الإنزياح التركيبي في كتابه علم الأسلوب بقوله: " الإنحرافات التركيبية تتّصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية، عندما تخرج عن قواعد النظم والتركيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات.⁹ ويمكن تناول الانزياح التركيبي في القصيدة الدرويشية من خلال التركيز على أبرز مظاهره المتمثلة في التقديم والتأخير، والحذف.

1/ ظاهرة التقديم والتأخير:

إنّ ظاهرة التقديم والتأخير إنزياح عن قانون رتبة الوحدات اللغوية ينتج عنه علاقات جديدة تفتح آفاق واسعة أمام المنشئ والمتلقي، ولئن كان ترتيب الوحدات اللغوية يخضع للمتداول والمألوف في ترتيب أجزاء الجملة فإنّ الانزياح عنها إلى ما هو مخالف لهما بمثابة منبهات ذات قيمة فنية وجمالية، يعتمد إليها المبدع لإنتاج دلالة أدبية متميزة بإيحائها وتأثيرها.¹⁰

والجملة العربية إما فعلية وإما اسمية، فإذا كانت فعلية فترتيب عناصرها واضح، والفعل هو المقدم في الترتيب على الأصل. أما إذا كانت اسمية واستوى طرفا التركيب وكانا معرفين معا ، فقد اختلف في أيهما يمكن أن تصدر به الجملة ، وأيهما تجعله خبرا ، فأما النحويون فلم يتعرضوا للتحديد ، بل تركوا للمتكلم الخيار، وأجازوا أن يكون كل منهما هو المبتدأ والثاني هو الخبر ، ويعربون المقدم مبتدأ والمؤخر خبرا ، " لكن البلاغيين بحثوا الأمر بحثا فكريا منطقيا دقيقا، ناظرين إلى حال المخاطب، وما هو الأعرف لديه من ركني الإسناد اللذين هما من المعارف ".¹¹

ومن هنا يأتي التعريف الذي يُعرّف به التقديم والتأخير وهو : "مخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق ، فيقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم . والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان الترتيب لازما أو غير لازم ، فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكم صناعي نحوي ، أما في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة) ، فيكاد يكون شيئا غير محدد، ولكن هناك أسباب عامة قد تفسر ذلك الترتيب " .¹²

وقد اهتم النحويون والبلاغيون والأسلوبيون بظاهرة الانزياح التركيبي الناتج عن فاعلية التقديم والتأخير، حيث تباينت نظراتهم إليها وفق منطق كل منهم؛ فالنحاة نظرو إلى التقديم والتأخير من زاوية الرتبة الثابتة والمتغيرة للجملة، بينما نظر إليه البلاغيون والأسلوبيون من زاوية القيمة الدلالية التي يحدثها في النص الأدبي.¹³

ويعد التقديم والتأخير من أهم مظاهر الانزياح، في التركيب اللغوي الذي يحقق في النص غايات دلالية وجمالية، ونفسية، وتأكيدا لفاعلية التقديم والتأخير وأهميته يقول عبد القاهر الجرجاني: " هذا باب كثير الفوائد ، جمّ

المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان " 14

وقد تحدث غيره عن قيمة هذه الظاهرة في اللغة العربية بل وصفها بأنها مظهر من مظاهر شجاعة العربية ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتمادا على قرائن أخرى، ووصولا بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال.¹⁵

أ/الأغراض البلاغية من التقديم والتأخير:

هناك العديد من الأسباب والدواعي لتقديم المسند على المسند إليه لعل السبب المقدم عليها جميعا أن ذكره أهم من ذكر غيره، ويؤكد سيبويه ذلك فيقول في الكتاب: "إن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيدا ضربت، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء مثله في ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيد".¹⁶ وهو ما أكدّه الجرجاني بقوله: "واعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يُهمانيهم ويعنيانهم ".¹⁷

وباب التقديم واسع لأنه يشمل كثيرا من أجزاء الكلام مثل تقديم المفعول به عن الفاعل، وتقديم الحال عن صاحبه، وتقديم الخبر عن المبتدأ... ومن أشكال التقديم وأغراضها:

أ_1_أغراض تقديم المسند إليه: والأصل فيه التأخير ومنها:

_أنه الأصل ولا مقضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها.

_ أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه كقول المعري:

والذي حارت البرية فيه *** حيوان مستحدث من جماد

تقدّم المسند إليه هنا وهو اسم موصول(الذي) لأن صلته تشوّق النفس، وتثير فضولها إلى معرفة المسند والحاصل في النفس بعد التشويق.

_ أن يقصد تعجيل المسرة إن كان في ذكر المسند إليه تفاؤل مثل: سعد في دارك. أو المساءة إن كان فيه ما يتطير به مثل: السّفاح في دار صديقك. النجاح نلته، الرسوب أصابك.

_ تعجيل التبريك به نحو: المصطفى يفرح بزواره في روضته.

_ تعجيل الأمان به مثل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

_ تعجيل التلذذ به كقول جميل:

بثينة ما فيها إذ ما تبصرت *** معاب ولافيها اذا نسبت أشب.

_ التعجيل بتعظيمه، أو بتحقيقه: فالأول كقول الله تعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}. والثاني كقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه: "الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

_ تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي إن ولي حرف نفي مثل: ما أنا قلت هذا، يقول المتتبي:

ما أنا أسقمت جسمي به *** ولا أنا أضمرت في القلب نارا

_ تقوية الحكم مثل: محمد نجح: فهنا قويت الحكم بإسناد النجاح إلى محمد مرتين؛ مرة إلى اسمه، ومرة إلى ضميره ، ولهذا كان: محمد نجح أبلغ من نجح محمد.

أ_2_ أغراض تقديم المسند : والأصل فيه التأخير :

_ تخصيص وقصر الأمر على المسند إليه: كقوله تعالى {ولله ملك السموات والارض}¹⁸ ، وقوله {لكم دينكم ولي ديني}¹⁹

_ التفاؤل بما يسر المخاطب مثل: ناجح أنت.

_ إثارة الذهن وتشويق السامع مثل:

ثلاثة ليس لها إياب *** الوقت والجمال والشباب

وقول آخر:

ثلاثة يذهبن عن المرء الحزن *** الماء والخضراء والوجه الحسن

_ التعجب مثل: لله دَرَك

_ المدح مثل: نعم البديل من الزلة الاعتذار

_ الذم مثل: بئس الرجل الكذوب.

_ التعظيم مثل : شريف انت ، عظيم أنت.

والمتتبع لظاهرة التقديم والتأخير في شعر محمود درويش يدرك عمق اهتمامه بأهميتها الإنزياحية في إثراء المشهد الشعري ، فالقديم والتأخير من أبرز الانزياحات التركيبية التي اعتمد عليها الشاعر في صياغة لغته الشعرية محاولا الاستفادة من طاقاتها التأثيرية وقيمها الإيحائية.

ب/ من صــــــــــــور النقدـــــــــــــم والتأخـــــــــــــر في شعر محمود درويش:

ج_1_تقديم المسند على المسند إليه(الخبر على المبتدأ): يتجلى في قوله:

* _ ذلیل أنت کالاسفلت

وكالقمر... غبي أنت.²⁰

تظهر فاعلية الانزياح في ترتيب ركني الجملة الاسمية: المبتدأ والخبر، فقد تقدم الخبر على المبتدأ في قوله: ذليل أنت، وقوله: غبي أنت، " ولم يكن التقديم هنا لسبب نحوي بل كان تقدما بلاغيا جماليا لإبراز قبح المحتل، وقصر المذلة والغباوة على المخاطب" ²¹

ب_2_ تقديم المسند إليه على المسند (الفاعل عن الفعل):

يقول درويش بلسان الإنسان العربي الفلسطيني:²²

***جنوری**

قبل ميلاد الزمان رست

وَقَبْلَ تَفْتَحِ الْحَقْبِ

وَقَبْلَ السَّرِّ وَالزَّيْتُونِ

.. وقبلَ ترعرع العشبِ

قدم الشاعر الفاعل (جذوري) لينبه، ويمكن الخبر في ذهن السامع، ويشوق النفس ويثير فضولها إلى معرفة المسند (الفعل رست)؛ فالشاعر يعتز بأصالته، ويريد أن يثبت أنه هو صاحب الأرض والأحق بها.

ب_3_ تقديم الجار والمجرور على المسند والمسند إليه:

قوله: 23

فی بیت اُمی صورتی ترنو إلى.

ولا تكفُّ عن السؤال:

أأنت، يا ضيفي، أنا؟

عمد الشاعر في هذه اللوحة الفنية إلى استثمار ظاهرة الانزياح، بتقديمه الجار والمجور في قوله: (في بيت أمي) على المسند والمسند إليه (صورتي ترنو) من أجل تبين خصوصية المكان، وشدة تعلق الذات المبدعة به، ولفت اهتمام المتلقي إلى قيمة ذلك المكان.
وكذلك في قوله: ²⁴

في مطعمٍ دافئ، نتبادل بعض الحنين
إلى بلدنا القديمين والذكريات عن
الغد: كانت أئينا القديمة أجمل.

وكذلك قوله: ²⁵

على الجسر في بلد آخر
يعلن الساكيفون على انتهاء الشتاء
على الجسر يعترف الغرياء
بأخطائهم، عندما لا يشاركونهم
أحد في الغناء.

ب_4_ تقديم الحال على صاحبه:

في قوله: ²⁶* وحيدا أصنع القهو ، وحيداً أشرب القهوة
فأخسر من حياتي .. أخسر النشوة.
قدم الشاعر الحال (وحيدا) على صاحبه (الضمير) كون الحال المقدم (وحيداً) أدى غرض دلالي بلاغي
إذ أبرز الفكرة المسيطرة على المبدع، وهي الشعور بالوحدة، وقد عزز ذلك بمفردات منها: (أصنع ، وأشرب، و
أخسر، وحياتي، وكفاحي)، ليظهر شدة الحزن الذي سببته له الوحدة.

ب_5_ تقديم المفعول به على الفاعل:

في قوله: ²⁷ يختارني الإيقاعُ، يُشرقُ بي
أنا رَجْعُ الكمان ولستُ عازفُهُ
أنا في حضرة الذكرى
صدى الأشياء تنطقُ بي
فأنطقُ...

في هذا المقطع قدم الشاعر المفعول به الذي جاء ضميراً متصلاً بالفعل "يختارني" على الفاعل "الإيقاع"، والأصل في ترتيب عناصر الجملة تأخيرها، وإنما قُدِّم لغرض بلاغي أراد الشاعر؛ وهو تبين أهميته وإبراز مكانته إذ هو الذي يختاره الإيقاع ويشرق به، وهو رجع الكمان وليس عازفه، فرجع الكمان أو صوته أجمل من عازفه، والصدى يطق به...

2/ ظاهرة الحذف:

الحذف ظاهرة فنية تعتري التراكيب، ويعدّ من أهم الظواهر الإنزياحية التي وظفها الشعراء لما لها من أهمية جمالية في بنا النص، ودلالية تأثيرية على فكر المتلقي، وخياله، ووجدانه، لذلك لا تكاد تخلو قصيدة حديثة من استثمار طاقتها الدلالية والجمالية على نحو أو آخر.²⁸

والحذف في اللغة : "القطع والإسقاط، جاء في لسان العرب : "حذف الشيء يحذفه : قطعه من طرفه، والحجاء يحذف الشعر من ذلك... والحذف الرمي عن جانب والضرب".²⁹

و جاء في المعجم الوسيط : "حذف الشيء قطعه من طرفه. يقال حذف الحجاء الشعر: أسقطه".³⁰ أما في الصحاح: حذف الشيء إسقاطه، يقال حذفت من شعري ، ومن ذنب الدابة.. أي أخذت... وحذت رأسه بالسيف ، إذا ضربته وقطعت منه قطعة³¹

إذاً فالحذف في اللغة يُحيل على القطع والإسقاط، كما أنّ المحذوف من الشيء هو المقطوع منه والساقط. أما اصطلاحاً فهو: إسقاط وطرح جزء من الكلام أو الاستغناء عنه؛ لدليل دلّ عليه، أو للعلم به وكونه معروفاً.³² ويقول قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر : "الحذف هو الإيجاز والإختصار والإكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالماً بممراده فيه"³³

وتعريف قدامة بن جعفر يقدم تفصيلاً أكثر لمفهوم الحذف والغرض منه؛ فالحذف هو اسقاط الكلام لغرض الإيجاز والاختصار، وهنا تكمن أهميته، وفي الحذف يقول الجرجاني: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، واتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين"³⁴

ويضيف الجرجاني : " فانظر إلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف ثم قلبت النفس عما تجد، وألطف النظر فيما تحس به ثم تكلف أن تردّ ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ، وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"³⁵ فالحذف "يعد تحولاً في التركيب اللغوي، يثير القارئ، ويحفزه نحو استحضار النص الغائب، أو سد الفراغ ، كما أنه يثري النص جمالا، فهو أسلوب يعتمد إلى الإخفاء والاستبعاد بغية تعددية الدلالة، وانفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة."³⁶

أ/ شروط الحذف : ذكر ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعراب ثمانية شروط للحذف هي:³⁷

_ وجود دليل على المحذوف.

_ ألا يكون المحذوف كالجزء.

_ ألا يؤدي الحذف إلى نقض الغرض كأن يقع الحذف والتوكيد معا

_ ألا يؤدي إلى اللبس.

_ ألا يكون عوضاً عن شيء محذوف.

_ ألا يكون المحذوف عاملاً ضعيفاً.

_ ألا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر.

_ ألا يؤدي الحذف إلى إهمال العامل الضعيف وقطعه عنه.

وهذه الشروط قد شرحها طاهر سليمان حمودة كاملة في كتابه "ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي" لكننا سنكتفي بعرض أهم هذه الشروط مع شروحاتها:³⁸

أ_1_ وجود دليل على المحذوف:

وهو أهم شروط الحذف فلا بد من قرينة تدل على العنصر أو العناصر المحذوفة، ويستغنى عن ذكرها بدلالة القرينة، وقد قسم النحاة والبلاغيون القرينة إلى لفظية (مقالية) وحالية (مقامية). وفي التنبيه إلى أهمية وجود الدليل على المحذوف يقول ابن جني: "وقد حذفت الجملة والمفردة والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"³⁹

أ_2_ عدم نقض الغرض (أن لا يكون مؤكداً):

الغرض من الحذف هو التخفيف والاختصار غالباً، ولذلك لا يحسن الحذف مع التوكيد، ولتتناقض الغرض منع الألفش أن يقال: "الذي رأيت نفسه زيد" بحذف العائد وتوكيده، وإنما يقال: الذي رأيت نفسه زيد "⁴⁰

أ_3_ عدم اللبس :

ينبغي ألا يؤدي حذف عنصر أو أكثر من عناصر الجملة أو حذف جملة أو أكثر من الكلام إلى اللبس على المخاطب، ولذلك كان اشتراط القرينة اللفظية أو الحالية أو العقلية المصاحبة للكلام، لأن المخاطب يدرك بها العناصر المحذوفة فإذا عدت القرينة أو كانت غير كافية لتقدير المحذوف لم يجز الحذف لأنه يؤدي إلى الوقوع في اللبس فمن ذلك يمنع حذف الموصوف مع إبقاء صفته في نحو: مررت بطويل، لأن القرينة العقلية لا تكفي لمعرفة الموصوف إذ يمكن أن يقدر برجل أو طريق أو رمح أو غير ذلك.

أ_4_ ألا يؤدي الحذف لاختصار المختصر:

قال ابن جني في الخصائص: "أخبرنا أبو علي رحمه الله قال: قال أبو بكر: حذف الحروف ليس بقياس وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً واختصار المختصر إجحاف به. وتفسير قوله: إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار هو أنك إذا قلت ما قام زيد، فقد أغنت "ما" عن "أنفي" وهي جملة فعل وفاعل، وإذا قلت قام القوم إلا زيد فقد نابت "الا" عن "استثني" وهي فعل وفاعل..."⁴¹

ب/ أغراض الحذف:

أغراض الحذف كثيرة ومتنوعة وقد يعزى الحذف في موضع واحد إلى أكثر من غرض ، ويمكن أن نحصر الأغراض على سبيل التقريب فيما يلي:⁴²

ب_1_ التخفيف:

كثيرة من الأسباب الظاهرة للحذف يكمن وراءها التخفيف غرضاً للحذف، فكثرة الاستعمال تجيء معها الرغبة في التخفيف بالحذف في الصيغ أو التراكيب " فمن ذلك قولك: "كم مالك"، ألا ترى أنه قد أغناك ذلك عن قولك: عشرة مالك، أم عشرون، أم ثلاثون، أم مائة، أم ألف".⁴³ فاللفظة كم خففت الكلام وأغنت عن طوله.

ب_2_ الإيجاز والإختصاص في الكلام :

" تحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل " ، كثير من أنواع الحذف في التراكيب تنتج عن رغبة المتكلم في الإيجاز والإختصار ذلك أن الإيجاز فضلاً عما فيه من تخفيف يكسب العبارة قوة ويجنبها ثقل الاستطالة وترهلها ، وبسبب من هذا الترهل والضعف نجد الحذف يكثر في جملة الصلة عند استطالتها وفي أسلوب الشرط والقسم لاسيما إذا اجتمع معهما العطف ، والمتبع لمواضع الحذف في القرآن الكريم يدرك كثرة الحذف حيثما تستطيل الجملة كما في قوله تعالى : { وإذا قيل لهم إتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون }⁴⁴ تقديره "أعرضوا" بدليل قوله تعالى في الآية التالية : { وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين }⁴⁵ ومثل ذلك جميع ما ورد من حذف جملة الشرط .

ب_3_ التفتيح والإعظام لما فيه من الإبهام:

في بيان هذا الغرض ينقل السيوطي عن حازم في منهاج البلغاء أنه " إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد الأشياء فيكون في تعدادها طول وسأمة كما في قوله تعالى : { حتى إذ جاؤوها وفتحت أبوابها } ،⁴⁶ فحذف الجواب ، إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى ، وتركفت النفوس تقدر ما شاعته ولا تبلغ مع ذلك كله ما هناك ، وكذا قوله : { ولو ترى إذ وقفوا على النار } ،⁴⁷ أي لرأيت أمراً فضيعاً لا تكاد تحيط به العبارة.

ب_4_ صيانة المحذوف عن الذكر في مقام معين تشريفاً له :

كما في قوله تعالى : { قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض }⁴⁸ فالآيات حذف منها المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أي هو رب السموات والأرض، والله ربكم ورب آبائكم الأولين ، والله رب المشرق والمغرب؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال ، فأضمر إسم الله تعظيماً وتشريفاً ، وأقتصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيء .⁴⁹

ب_5_ تحقير شأن المحذوف :

كقوله تعالى : { صم بكم عمي } أي هم ، وقوله تعالى : { كتب الله لأغلبن أنا ورسلي }⁵⁰ أي الكفار .

ب_6_ رعاية الفاصلة:

وهو غرض لفظي يقع الحذف لأجله، ومن رعاية الفاصلة القرآنية قوله تعالى : { ما ودعك ربك وما قلى }⁵¹ حذف المفعول به ، والتقدير: وما قلاك ، وقد يجوز المفسرون والبلاغيون أغراضاً أخرى يحتملها الحذف في هذه الآية.

ب_7_ قصد البيان بعد الإبهام :

وذلك نحو قوله تعالى: {ولو شاء لهداكم} حيث حذف المفعول به للفعل "شاء" ودل على المحذوف جواب الشرط، فالتقدير: ولو شاء هدايتكم لهداكم، فإذا سمع السامع "ولو شاء" تعلقت نفسه بما وقعت المشيئة عليه، لا يدري ماهو، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك، وأكثر وقوعه بعد أداة شرط لأن المفعول مذكور في جوابها، لكن إذا ذكر مفعول المشيئة والارادة لابد أن يكون لأمر غريب أو عظيم ، كقوله تعالى {لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا }.

ب_8_ المحافظة على الوزن في الشعر ، كقوله:

عَلَى أَنتَي رَاضٍ أَنْ أَحْمِلَ الْهَوَى ♦♦♦ وَأَخْلَصَ مِنْهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا
أي: لَا لِي شَيْءٌ، وَلَا عَلَيَّ شَيْءٌ، فحذف الشاعر "شيء" للمحافظة على الوزن.

ب_9_ قصد الإبهام :

قد لا يتعلق مراد المتكلم بتعيين الحذف ، لأن تعيينه غير مفيد فيعتمد الحذف حتى لا ينصرف انتباه السامع الى أمور لا يقصدها المتكلم فضلاً عما فيه من إيجاز للعبارة وإطلاق لمعناها دون تقييدها بالمحذوفات، ومن أمثلة حذف الفاعل وإسناد الفعل لنائبه في قوله تعالى: (فان احصرتهم ..)، حيث يريد الشارع ترتيب الحكم على مطلق وقوع الاحصار لا على فاعله الذي يؤثر اختلافه او تنوعه في الحكم ومثله قوله تعالى : "وإذا حييتم"

ب_10_ الجهل بالمحذوف:

وقد يكون الجهل بالمحذوف سبباً للحذف ، وهو أوضح في بعض مواضع إسناد الفعل لنائب الفاعل، حيث يحذف الفاعل للجهل به نحو: سُرِقَ المتاع، قُتِلَ فلان، اذا لم يعرف السارق والقاتل وهو سبب تسمية الفعل في هذه الحالة مبنياً للمجهول، وليس كل مسند الى نائب الفاعل يُجهل فاعله، فإطلاق التسمية على الانواع الأخرى مجازاً.

ب_11_ العلم الواضح بالمحذوف:

قد يحذف الفاعل ويسند الفعل الى نائبه لأن الفاعل معلوم للمخاطب بالقرينة العقلية، بحيث لا يحتاج أن يذكر له، وذلك كقوله تعالى {خُلِقَ الانسان من عجل}، ففاعل الخلق معلوم عند جميع المخاطبين، وهو الله تعالى، ففي الحذف إيجاز فضلاً عن الاشعار بأنه لا يتولاه غيره ، وإنه متفرد به.
كما قد يحذف المبتدأ لوضوحه، ولأن الخبر لا يصلح الا له، مثل قوله تعالى {عالم الغيب والشهادة } فاعالم" هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو".

ب_12_ الخوف منه أو عليه:

قد يحذف الفاعل ويسند الفعل الى نائبه حين يخشى المتكلم أن يناله مكروه، اذا ذكره فيعرض عن الذكر، أو يخشى عن الفاعل اذا سماه ان يناله مكروه أو يلحق به أدى فيعرض عن الذكر ويسند الفعل الى نائبه.

ج/ من صور الحذف في شعر محمود درويش:

حذف الفاعل في قوله ⁵²*أطلُ على صورتني وهي تهرب من نفسها

إلى السلم الحجري، وتحمل منديل أُمي

نجد هنا حذف لاسم وهو (الفاعل)، وجاء هذا الحذف اعتمادا على ما ذكر من قبل، ففي البيت الأول جاء ذكر للفاعل واستغنى الشاعر عن هذا الذكر في البيت الثاني، وهذا من أجل الابتعاد عن كثرة الكلام والتكرار، والركاكة، فلو ذكر الفاعل في البيت وللمرة الثانية لجاء المعنى مختلف وكان الكلام ثقیل على اللسان، وركيك القراءة وليتجنب الشاعر كل هذا لجأ إلى الحذف.

وفي قوله: ⁵³*إلى أين تأخذني يا أبي؟

إلى جهة الريح يا ولدي...

...وهما يخرجان من السهل، حيث

أقام جنود بونابرت تلا لرصد

الظلال على سور عكا القديم

يقول أب لابنه: لا تخف

وظف محمود درويش ظاهرة الحذف في هذه الأبيات ودل عليها بنقاط الحذف (...) التي استخدمها، فالشاعر يسرد لنا سيرته الذاتية، وفي هذه السيرة يعيد تأليف ماضيه، والأصل في السرد كثرة الكلام والإطناب، لكن الشاعر تجنب ذلك وذكر الأحداث المهمة فقط، و" درويش يعد نفسه راويا يحكي تراجيديا شعبه ووطنه، وذاته معا، فهو يحاول أن يذكر أهم ما جرى في الماضي من مواقف مثيرة اعتمادا على الاختصار في السرد، والابتعاد عن التفصيل " ⁵⁴

وفي قوله: ⁵⁵*أخاف على حلمي من وضوح الفراشة

ومن بقع التوت فوق صهيل الحصان

أخاف عليه من الأب و الإبن والعابدين

على الساحل الأبيض المتوسط بحثا عن الآلهة

وعن ذهب السابقين

حذفت هنا لفظة (الحلم) وتركت قرينة دالة عليها وهي ضمير الهاء، ومن خلال هذه القرينة يستطيع القارئ اكمال ما حذف، وسبب الحذف هو تقادي التكرار، فالذي يقرأ لمحمود درويش ينبغي أن يكون فطنا حاذقا يضمن فكره ليكتشف المحذوف.

وفي قوله: ⁵⁶*الماء يبكي، والحصى، والزعران.

والريح تبكي:

لم يعد غدنا لنا...

هنا حذف الفعل يبكي، والأصل في الجملة: الماء يبكي، والحصى يبكي، والزعران يبكي، فالشاعر استغنى عن تكرار الفعل "يبكي" لأنه ذكره في البداية، وذلك كاف لفهم الجملة، وترك للقارئ مجال للتأويل وإدراك المعنى.

وختاماً فإن المتأمل في لغة شاعر القضية الفلسطينية محمود درويش يدرك خصوصية هذه اللغة الجميلة من خلال استثمار فنيات الانزياح التي رصدنا بعضاً منها مثل انزياح التقديم والتأخير، وانزياح الحذف، كما يدرك إبداع الشاعر الذي اتخذ هذه اللغة أداة تأثيرية؛ إذ أثرت في الجميع ومكنت الشاعر من نقل القضية الفلسطينية إلى العالمية.

الهوامش:

¹ ينظر: المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، دت، الاسكندرية، ص: 100

² ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2، دط، دت، مادة "زاح"

³ نعيم اليافي، أطراف الوجه الواحد، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب دمشق ط، 1959، ص: 92.

⁴ ينظر: عزام محمد، التحليل الأسنوي للادب، دار الثقافة، دمشق، ط1994، ص: 105.

⁵ صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة ط1، 1998، ص: 208.

⁶ المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، 103.

⁷ جون كوهين بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي، محمد العمري، دار توبال، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1986، ص: 192.

⁸ ينظر: علي نظري، يونس ولي، ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، ربيع 1392 العدد 17، ص: 90.

⁹ صلاح فضل، علم الأسلوب، ص: 208.

¹⁰ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار القاهرة، ط1994م، ص: 281_282. ومحمد مصطفى عبد الرحمن كلاب، شعرية الانزياح في شعر محمود درويش، دار نوبار، القاهرة، ط1994 ص: 488.

¹¹ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. ط1. دار القلم دمشق 1416هـ - 1996م : ج1، ص: 356.

¹² صالح الشاعر. ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي، <https://tryarabic.wordpress.com/2011/11/19>

¹³ محمد مصطفى عبد الرحمن كلاب، شعرية الانزياح في شعر محمود درويش، ص: 488.

¹⁴ عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر. مطبعة المدني، بالقاهرة ط3.

1992م: 106

¹⁵ ينظر: صالح الشاعر. ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي.

¹⁶سيبويه. الكتاب . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ط 3 . مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، . 1048 هـ-1983م ج1/ 80-81.

¹⁷الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص:107. و سيبويه، الكتاب، ص:34.

¹⁸سورة آل عمران، الآية 189.

¹⁹سورة الكافرون ، الآية 6.

²⁰محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة(ديوان محمود درويش)، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، بيروت ،لبنان ط2009ص:المجلد الأول ص:147

²¹عبد الرحمن محمد كلاب، شعرية الانزياح في شعر محمود درويش، دار نوبار، القاهرة، ط1994ص، ص: 288.

²²محمود درويش، الأعمال الأولى(ديوان محمود درويش)، رياض الريس للكتب والنشر، ط2005، 1 بيروت، لبنان، المجلد الأول ص:80.

²³محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة(ديوان محمود درويش)، ص:27.

²⁴نفسه ، ص: 156.

²⁵نفسه، ص:284.

²⁶نفسه، ص:31.

²⁷نفسه، ص:17.

²⁸عبد الرحمن محمد كلاب، شعرية الانزياح في شعر محمود درويش ، ص26.

²⁹ابن منظور لسان العرب، ج9، مادة"حذف" ص: 403.

³⁰إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات :المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4 ،مادة حذف، 2004 .

³¹اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة حذف، ص:1314.

³²عبدالكريم حميد، الحذف في القرآن الكريم http://www.alukah.net/literature_language

³³أبي الفرج قدامة بن جعفر ، نقد النثر، أوكتاب البيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1990، ص 69.

³⁴عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر. مطبعة المدني، بالقاهرة. ط3. 1992م، ص: 146.

³⁵نفسه ، ص:152.

³⁶كريمة مسعودي، جماليات الخطاب الشعري في ديوان " لماذا تركت الحصان وحيدا" لمحمود درويش، مذكرة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة بسكرة، 2014م/2015، ص:26.

³⁷ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 1995، ج 2، ص 693-700.

³⁸ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، ط1998، ص116_148.

³⁹أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية ،ج2، دطن دت ،ص:360.

⁴⁰بن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج2، ص: 158.

- ⁴¹ابن جني ، الخصائص، ج2 ص: 273_274
- ⁴²ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص: 99_111. و محمد لعجال، ظاهرة الحذف البلاغي في القرآن الكريم أفضل العلوم والآراء صفحة <http://ladmoh.blogspot.com/2011/06/blog-post.html>
- ⁴³ابن جني ، الخصائص ج1، ص:82.
- ⁴⁴سورة يس، آية 45.
- ⁴⁵يس ، آية 46.
- ⁴⁶سورة الزمر، آية:71.
- ⁴⁷الانعام 27.
- ⁴⁸الشعراء آية23_42.
- ⁴⁹المجادلة آية 21.
- ⁵⁰بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ، 1376 هـ - 1957 م، ج 3 ص: 164.
- ⁵¹سورة الضحى، الآية:3.
- ⁵²محمود درويش، الديوان، ج2 ص: 279.
- ⁵³نفسه، ص:298.
- ⁵⁴كريمة مسعودي، جماليات الخطاب الشعري في ديوان " لماذا تركت الحصان وحيدا" لمحمود درويش ص: 29
- ⁵⁵محمود درويش ، الديوان، ج1 ص: 326.
- ⁵⁶نفسه، ص: 406.